

ضلالات السبتيين حول القدّاس الإلهيّ (١)

١٩٩٩ آب ٢٢

سنتكلّم على ضلالات السبتيين حول القدّاس الإلهيّ في مقاليتين متتاليتين، سنعرض، في الأولى، بعض أفكارهم المنحرفة التي تسيء إلى الله وأسراره المقدّسة ونردّ عليها، وستابع الردّ، بإذن الله، في مقالة لاحقة.

تذكر السيّدة ألن هوايت، في كتابها: الصراع العظيم، أنّ مارتن لوثر (١٤٨٣ - ١٥٤٦)، وهو أوّل دعاة الحركة البروتستانتية، قال: "إنّ القدّاس شيء رديء والله يقاومه وينبغي إلغاؤه" (صفحة ٢٠٩). ولعلّها أرادت من الرجوع إلى هذا الكلام، أن تستند إلى ما يساعدها على نشر انحرافها. ذلك أنّ هوايت - والسبتيين جميعاً - تكره القدّاس الإلهيّ

الأرجل؛ على أن نفنّد، كما أشرنا أعلاه، مرّة ثانية، سيّئات تعاليمهم المتبقية وانحرافهم عن الحقّ.

١- في الحقيقة والرمز:

توكّد العبارات التي فاه بها يسوع في عليّة الطهر أنّ الخبز والخمر المقدّمين في الإفخارستيا هما حقيقةً جسد الربّ ودمه، إذ قال في الخبز: "هذا هو جسد (ي)"، وفي الخمر: "هذا هو دم (ي)". فالرمز (والكلمة أضافها السبتيون إلى كلام التأسيس) نقضه يسوع الذي أبطل كلّ رمز (ظلّ) قديم بظهوره، في العالم، إلهاً متجسّداً، وأعطانا، بغلبته، أن ندوق، في هذا الدهر، الفرح الحقيقيّ وعربون "الحياة الأبدية" (راجع: يوحنا ٦). وذلك أنّ القرايين المقدّسة (جسد المسيح ودمه) - وليس رمزها - التي هي تذوق للمائدة التي سيّكئ حولها الأبرار في "ملكوت الآب" (متّى ٨: ١١ و ١٢، ٢٦: ٢٩، مرقس ١٤: ٢٥ ولوقا ٢٢: ١٨؛ رؤيا ١٩: ٩) - أو كما يقول المطران جورج (خضر)، في تعليقه على (متّى ٢٦: ٢٩)، هي "نشوة الفرح السماوي" (جريدة النهار، السبت ١٠ تمّوز ١٩٩٩) - هي التي تحقّق "الكنيسة" (١ كورنثوس ١١: ١٨)، وتقيم المؤمنين "جسد المسيح" (١ كورنثوس ١٠: ١٦ - ١٧)، وهي التي "تغفر الخطايا"، وتدين من كان "غير أهل لها" (١ كورنثوس

كرهاً عظيماً، وهذا يظهر، بوضوح ليس مثله وضوح، بوصفها إياه "بالذبيحة الوثنية"، وبأنه "الهرطقة الرهيبة المهينة للسماء" (م.ن.، صفحة ٦٥ و٦٦).

ومن المعلوم أن السبتيين يدعون إلى "ممارسة العشاء الرباني"، كما جاء في الكتاب المقدس". وهم، لا شك، يقصدون أن العشاء الذي أمته يسوع في عليّة صهيون كان "رمزياً" (المعتقدات الأساسية، ١٥؛ إيمان الأدفنتست السبتيين، صفحة ٢١٥ و٣٤٢)، وأن الكنيسة ضمّنته حقيقة لا تقولها الكتب المقدسة، بخاصّة أنّها أهملت فريضة غسل الأرجل" (ويسمونها "خدمة التواضع") التي تشكّل وعشاء الربّ "خدمةً واحدة"، كما يدعون (ألن هوأيت، مشتهى الأجيال، صفحة ٦١٨). وهم يقيمون هذا العشاء (الرمزي) مرّة كل ثلاثة شهور (إيمان الأدفنتست السبتيين، صفحة ٣٤٩، الحاشية ١٩)، ويستعملون فيه خبزاً فطيراً وخمراً غير مختمر، فالخمر محرّم عندهم، والخميرة "رمز للخطيئة" (م.ن.، صفحة ٣٣٤ و٣٤١؛ مشتهى الأجيال، صفحة ١٢٩ و٦٢٢؛ من هم الأدفنتست السبتيون؟، صفحة ٢٠).

تدلّ هذه الأفكار التي يعلّمها السبتيون على أن احتفالهم "بالعشاء الرباني" لا علاقة له بمقصد الله. سنحاول، في هذا المقال، أن نردّ على نقطتين في تعليمهم، هما: (١) رمزيّة الخبز والخمر؛ (٢) وفريضة غسل

السبتيون، تجعل المعمودية المقدسة أمرًا ثانويًا، بخاصة أنهم يوهمون أنفسهم - بها - بنقاء هو مسعى الأبرار في هذه الحياة، ولا يكشف صدقهُ إلا في اليوم الأخير. واستطرادًا أقول إن الذين نالوا نعمة الله، في معموديتهم، لا يحتاجون إلى نعمة أخرى قبل اقترابهم من المناولة المقدسة"، وذلك لأن المعمودية التي تبقى مفاعيلها أبدًا، وما تفرضه من محبة وتوبة دائمين، هي وحدها تكفل الصادقين وتدفعهم دائمًا إلى التقدم إلى "عشاء عرس الحمل" (رويا ١٩ : ٩).

هذه بعض آفات رددناها بالحق الإلهي، وللكلام صلة.

(١١: ٢٧). ما من شك في أن السبتيين، وكل من لا يعتبر أن الرب يعطي المشتركين في "عشاء الله"، كما يسميه ترتليانوس، أن يتذوقوا، في هذه العالم، جسده ودمه الحقيقيين، والقداسة (أنظر: رسالة القديس كيرلس إلى نسطوريوس)، هو يحرف الكتاب المقدس ويبقى أسير رمز غير نافع.

٢- في فريضة غسل الأرجل:

يمارس السبتيون عادة "غسل الأرجل" قبل الاقتراب من العشاء الرباني (... ينفصل الرجال عن النساء، فيجتمع الرجال في مكان خاص، وكذلك النساء، ويغسل الجميع بعضهم أرجل بعض، ثم يعودون إلى الاجتماع فيكسر الوعظ الخبز وبعد توزيعه يُقدّم الخمر، وتنتهي الخدمة بترنيمه)، وذلك بهدف التنقية، يقولون في كتابهم "إيمان الأذفتست السبتيين": "عند الانتهاء من خدمة الغسل يؤكد لنا إيماننا أننا أنقياء لأنّ خطايانا قد غُسلت" (صفحة ٣٣٧؛ أنظر أيضًا: مشتهى الأجيال، صفحة ٦١٩). وغسل الأرجل عمل قام به الرب في لقاء العلية الأخير (يوحنا ١٣: ١-١٦)، ولسنا هنا بوارد الخوض في معانيه والهدف الذي أراده الرب منه (على أهمية هذا الأمر). ما يهمننا، في هذا السياق، هو أن نوّكد أن "فريضة غسل الأرجل"، كما رتبها